مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: أفاميا كنموذج للحضارة العربية السورية القديمة
اسم الكاتب: نشأت الرعدون
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/2670
تاريخ الاسترداد: 2026/11/02 09:50 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

أفاميا كنموذج

للحضارة العربية السورية القديمة

الباحث الفنان التشكيلي
نشأت الرعدون

مخطط البحث:

أولاً– المقدمة : عن موقع أفاميا وأهميتها.

ثانياً– أفاميا: لمحة تاريخية.

ثالثاً: أفاميا اللغة.

رابعاً : أفاميا العمران:

1– كيفية البناء والهيئة المعمارية العربية للبيوت.

2– السور.

3– المسرح.

4– القلعة.

5– المعابد والمنشأت الدينية.

6– الحمامات.

7– الأقنية.

خامساً – أفاميا الفنون الجميلة:

1– الفسيفساء:

آ– فسيفساء سقراط.

ب– فسيفساء الحوريات.

ج– فسيفساء الوعل.

د- فسيفساء(الأسقف يولس).

هـ- فسيفساء (الأمازونات).

و- فسيفساء الصيد.

2- التماثيل.

3- التيجان.

4- التوابيت.

5- الخان والمتحف.

سادساً: الأهمية السياحية.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

ملحق لوحات آثارية من أفاميا.

أولاً- المقدمة : عن موقع أفاميا وأهميتها :

تقع مدينة أفاميا إلى شمال غرب المنطقة الوسطى من سوريا: وهي تشرف على سهل الغاب الداخلي. ومن هنا تظهر أهمية موقعها الاستراتيجي في العصور القديمة، سواء بالنسبة إلى التجارة والولوج إلى عمق سوريا الشام من جهة، أو بالنسبة إلى أنّها منطقة انطلاق مهمة للقوى العسكرية بالنسبة إلى العديد من الإمبراطوريات التي مرت بالمنطقة من جهة أخرى، وتبعد أفاميا نحو /60/ كيلو متر إلى الشمال الغربي من مدينة حماة إذ تتبع لها إدارياً. تتمركز تماماً عند نهاية الزاوية الجنوبية الغربية لجبل الزاوية، وترتفع أكثر من مئة متر عن سهل الغاب، فإذا بها تطل عليه عند نهاية سهول حماه غرباً التي تنقطع طولياً من الشمال إلى الجنوب بفعل الانهدام الجيولوجي الكبير الذي حدث قبل أكثر من ثلاثة ملايين عام، فأحدث البحر الأحمر والبحر الميت وحتى بحيرة الحولة وسهل العمق وكانت نهايته هي سهل الغاب.

تطل المدينة غرباً على سلسلة الجبال الساحلية، إذ تبعد عنها أربعة عشر كيلو متراً وهو عرض السهل، في حين تبعد بمسافتين متساويتين تقريباً عن نهايته الشمالية جسر الشغور، وعن نهايته الجنوبية حيث مصياف، أي بنحو عشرين كيلو متراً عن كل منهما. هذا ويحيط بها من كلتا الجهتين، الشرقية والجنوبية، واد عميق ينفتح غرباً على السهل لتبدو كأنها كتلة محاطة بسفوح شديدة الانحدار من جهاتها جميعها، حيث يتموضع سورها ليحدد شكلها وفقاً للتضاريس الجغرافية التي تشكلها، وهي لا تتصل مع محيطها والأرض التي من حولها أفقياً إلا بجزء بسيط من جهتها الشمالية، حيث تقع بوابتها الرئيسة بوابة انطاكية التي تشرف مباشرة على السفح الجنوبي الغربي لجبل الزاوية، حيث مقالع حجارتها، ولا تبعد عنه إلاّ بنحو **1**كم (انظر اللوحة(**1**).

إن موقعها الجغرافي هذا قد أهلها لتكون موقعاً عسكرياً ومدنياً مهماً. وهذا ما يدل عليه ويؤكده اسمها القديم (فرناكه) وأحياناً فرناك أو فرنق وفرانق. وإذا ما عدنا إلى أصل

الكلمة في جذر اللهجات العربية السورية القديمة نراه يعني الأسد، وهذا ما تعنيه كلمة فرنق أو فرانق في اللغة العربية الفصحى(قاموس قطر المحيط)، أي الأسد أو الدليل الذي يسير في مقدمة العسكر، ومن المعروف بأن الأسدة أو اللبوة تسير دوماً في مقدمة المجموعة ابتغاء الصيد. ولعل هذه التسمية جاءت من كون الموقع هذا موقعاً متقدماً وقريباً من الثغور السورية الشمالية، فهي تقع على الطريق الغربي الرئيس، الذي يربط سوريا ومصر ببلاد الأناضول وهي ترى من العديد من القلاع والحصون الموزعة على السفح الشرقي لسلسلة الجبال الساحلية، كما أن هناك العديد من التلال الاصطناعية إلى جنوبها وشرقها التي كانت تستخدم للإنذار المبكر، إذ كانوا يشعلون النار كإشارة لخطر قادم.

وهناك بناءان أثريان مهمان يعدّان من أبراج المراقبة، لاتزال آثارهما باقية حتى الآن، أحدهما يقع غربي الجبل/ جبل شحشبو / وهي التسمية المحلية لذلك الجزء من جبل الزاوية، أي الجزء المجاور والقريب جداً من أفاميا، ويسمى محلياً الشعراني، وهذا الموقع يطل على النصف الشمالي لسهل الغاب، والآخر يقع إلى شرقي الجبل في موقع يسمى /شجرة أم داهود/، نسبة إلى شجرة بلوط قديمة وكبيرة موجودة هناك وماتزال، ويزيد عمرها على مئتي عام، وهو يكشف بوضوح الطريق الشرقي المحاذي لنهاية جبل الزاوية وحتى معرة النعمان، وللموقعين هذين المخطط ذاته والمساحة ذاتها، وقد بنيا بحجارة كبيرة يزيد طول الواحدة منها أحياناً على **150** سم. كما يوجد في كل منهما بئر ماء.

أدت الحفريات الأثرية في أفاميا، المتعلقة بالعصور كلّها، إلى اكتشافات بالغة الأهمية أبرزت خصوصيتها التاريخية والأثرية والسياحية عالمياً. وهي لاتزال تخفي كثيراً في باطنها، كما صرح لي البروفيسور جان بالتي رئيس البعثة المنقبة عام**1966**، ولهذا فإن أفاميا لاتزال تعد بالكثير....

لهذا أجد لزاماً علي أن أكتب باستفاضة عنها، مستعيناً بمشاهداتي الخاصة، وبما قرأته في العديد من المصادر والمراجع ، هي مدينتي التي ولدت فيها، وكنت ألعب مع أترابي الأطفال بين آثارها ، نتسلق حجارتها وشوامخ أعمدنها، ونختبئ في زوايا مبانيها، نزيل ما تراكم من التراب على زخارف فسيفسائها، لتصدر عنها العبارة المألوفة "ياالله ما أحلاها". أقول: إنني وبفضلها وبتأثير من معالمها الجميلة، الفنية والمعمارية، أصبحت فناناً تشكيلياً مهتماً بتاريخ الفن والعمارة، وقد اكتشفت أموراً لم يلاحظها حتى كبار علماء الآثار الذين نقبوا فيها، أو ربما لم يهتموا بها على أهميتها ولا أعرف لماذا، وأبدأ حديثي عنها بلمحة تاريخية.

ثانياً- أفاميا: **لمحة تاريخية**:

لموقع أفاميا تاريخ طويل[1]، فقد كان مأهولاً منذ أواسط المرحلة المسماة بالباليولتيك والنيولتيك، أي العصر الحجري الأوسط والحديث، وقد لوحظ أن هناك استيطاناً في قلعتها على شكل أطوار متعاقبة تعود إلى العصر البرونزي. هذا ما توحي به اللقى الأثرية التي أعلن عنها سنة **1970**، وتقول الدراسات إنّها من أقدم المدن السورية، أو ربما يعود تاريخها إلى أواسط الألف الثالث قبل الميلاد. كما أثبتت الدراسات والتنقيبات الأثرية التي بدأت منذ ثلاثينيات القرن الماضي، أن السكن في قلعتها كان موجوداً في الألف السادس قبل الميلاد، وهذا ما تؤكده المغاور، والمنتشرة حول القلعة حتى الآن، والتي كنا نشاهد بقايا الرسوم المنحوتة على جدرانها تصور شتى مظاهر الحياة القديمة، في الصيد والرعي والحراثة الخ....ازدهرت الحضارة في أفاميا منذ القدم، فقد كشف التنقيبات في أفاميا عن كميات كبيرة من الفخار العائد لمرحلة

[1])– راجع مؤلفات العلامة الأثري عبد الرزاق زقزوق عن أفاميا وحول متحف أفاميا وعن دليل حماة السياحي– المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، وانظر جريدة الفداء ، العدد 14663، تاريخ 5 تشرين /2013.

العصر البرونزي الأوسط، ممّا مكّن العلماء من إطلاق فرضية أن تكون أفاميا القديمة هي نفسها مملكة (نعيا)، التي ذكرت في نصوص مصرية وأكادية ، في سياق الحديث عن الحملات التي قام بها الملوك المصريون القدماء، تحوتمس الأول والثالث وامينوفيس الثاني، بين القرنين **16** و**14** ق.م. حيث ينتمي عمار حضارة نعيا إلى السلالات السورية. وغالباً ما تذكر نعيا أو (نايا) مقترنة بمملكة (ألالاخ) التي كانت قائمة في المرحة نفسها في سهل العمق، حيث كانت المملكتان في حالة تناحر مستمر[2].

هذا وقد ذكرها المؤرخون والرحالة في كتبهم، كما ذكرتها الوثائق والأكادية والوثائق المصرية خلال مرحلة وجود الفراعنة، تحوتمس الأول والثالث في سوريا ، كما ذكرها ياقوت الحموي في معاجم البلدان، وشغلت الكثير من علماء الآثار، وحتى الشعراء وصفوها بأشعارهم بالمدينة المميزة[3]. مرّ بها الاسكندر المكدوني عندما غزا بلاد فارس، وذلك عام /**333**/ ق.م فأسماها (بيلا) أي الجميلة، تيمناً بالمدينة المكدونية مسقط رأسه، وبعد وفاته في مدينة بابل واقّتسام إمبراطوريته الواسعة بين قادة جيشه، كانت سوريا من نصيب / سلوقس نيكاتور/ الذي جعل أفاميا العاصمة الثانية لها، وأطلق عليها اسم زوجته الأميرة الفارسية (أبامي)[4]، وكان ذلك بين عامين /**300**-**299**/ قبل الميلاد حيث كانت إحدى قواعد حكمه الأربع (المدن الأربع)، وهي تيرابوليس شمال غربي سوريا، أنطاكية اليوم، وسيرهوس، واللاذقية وأفاميا.

هذا وقد كان سلوقس مهتماً بها كثيراً، فقد أسس فيها مدرسة للفلسفة، أصبحت مركزاً علمياً وفلسفياً كبيراً، إذ نشأت فيها مبادئ الحركة الفلسفية الهيلينة التي هي نتاج

---

[2])- انظر سيرغي ميدفيدكو وديمتري أوسيبوف، سوريا تاريخ كبير لبلد عريق، ترجمة وتحقيق عياد عيد، دار الينابيع، 2002.

[3])- انظر أكرم ساطع، القلاع والحصون في سورية، دار أطلس، 2004.

[4]) - موقع اكتشف سوريا: WWW .discover Syria . com .bonk

معطيات الثقافة السورية العربية، ولقد أصبحت أفاميا من مراكز الإشعاع الحضاري في العالم القديم.

كما نبغ فيها عدد كبير من الفلاسفة والعلماء والشعراء والأدباء السوريين، وحمل معظمهم اسمها، إذ يشير إليهم المؤرخ جورج سارتون في كتابه تاريخ العلم[5] منهم (يمبليخوس) الذي اهتم بالفلسفة، (بو زيدونيوس الأفامي الحفرافي). و(أرخيجينس) الأفامي، وكذلك الفيلسوف (أميليوس)، و(تومينوس) الأفامي وكذلك (جوليا سويماس) إبنة (جوليا ميزا)[6] التي ولدت في أفاميا وتزوجت من الفارس الأفامي (سكنوس مارسيليوس) الذي اصبح فيما بعد أحد أعضاء مجلس الشيوخ الروماني، أمّا (أوبيا) الأفامي فهو شاعر نابغة، وقصيدته (سبناجتيكه) اكتسبت شهرة عالمية، وهي توازي المعلقات في العربية[7]. ومن الجدير بالذكر أن معظم هذه الشخصيات، هي عربية سورية بالأصل كالامبراطور ايلا جباليوس (اله الجبل) ابن جوليا سويماس التي هي ابنة جوليا ميزا أخت جوليا دومنا أم الأباطرة السوريون الخمسة.

ومن الجدير بالذكر أن معظم هذه الشخصيات، هي عربية سورية بالأصل كالامبراطور ايلا جباليوس (إله الجبل) ابن جوليا سويماس التي هي ابنة جوليا ميزا أخت جوليا دومنا أم الأباطرة السوريون الخمسة. هذا وقد جعل سلوقس نيكاتور من أفاميا عاصمته العسكرية، وقد أقام فيها موقعاً عسكريا، وأنشأ فيها مدرسة حربية للفرسان. وكان فيها أيضاً وفقاً لما ذكره المؤرخ والجغرافي الإغريقي(سترابون)، أفضل

---

[5])– جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة وتحقيق مجموعة من المترجمين، دار المعارف،، 1992.

[6])– قتيبه الشهابي، عباقرة وأباطرة من بلاد الشام في العصور اليونانية والرومانية و البيزنطية، دار المساعدة السورية للتأليف، دمشق، 2004.

[7])– الخوري عيسى أسعد، تاريخ حمص، إصدار مطرانية حمص الأرثوذكسية ، 1984.

الخيول الأصلية الذي بلغ عددها كما يقول سترابون /300/ حصان و/ 30000/ فرس و /500/ فيل، كما استخدم الجمال والفيلة الحربية.

وتذكر بعض المراجع والمصادر التاريخية أنه كان فيها مئات من الفيلة المجلوبة من الهند، يجلس على ظهر كل فيل خمسة فرسان في برج خشبي، وكانوا يسقونها عصير العنب والتوت. كما أن هذه الفيلة قد استخدمت في بناء السوق، وذلك برفع الحجارة إلى أعلى الأعمدة بواسطة رافعات خشبية معدة لذلك.

ازدهرت المدنية العربية السورية خلال المرحلة الرومانية والبيزنطية، ولقد دخلها الرومان سنة /64/ قبل الميلاد، فدمر القائد الروماني (بومبيوس) حصنها، ثم أعيد بناؤه، وأصبحت المركز الرئيس والحاضرة السورية الرئيسة، كنتيجة حتمية للاستقرار واستتباب الأمن والسلام التي عمت سوريا في تلك المرحلة، أي منذ القرن الخامس قبل الميلاد إضافة إلى قرون عديدة بعد ذلك.

ظلت أفاميا مزدهرة كمركز تجاري وحضاري وفكري وثقافي[8]، استمراراً لما كانت عليه في ماضيها العربي السوري القديم، حتى دمرها زلزال عام **115** ميلادي واستمرت إعادة إعمارها في عهد الأسرة السورية الحاكمة لروما حتى عام **235**م حيث شهدت قمة ازدهارها، إلى أن احتلها (كيخسرو الثاني) ملك الفرس في سنة **573**م. وكانت خاضعة للحكم البيزنطي، عندما أتى عليها زلزال آخر فقضى على ما بقي منها قائماً، إلى أن دخلها العرب المسلمون عام **18**هـ/ **638** م أيام الخليفة عمر بن الخطاب، بقيادة أبي عبيدة بن الجراح بعد فتح قلعة شيزر وجعل منها موقعاً عسكرياً متقدماً، غير أن البيزنطيين استردوها عام **975**م، من ثم عادت للعرب في عام **993**م فأصبحت مركزاً للصراع ضد الإمبراطورية البيزنطية، وبشكل خاص في زمن الدولة الحمدانية. هكذا حتى

[8])- راجع موقع الموسوعة العربية، دمشق: WWW. Arab–incy . com

هزم الفاطميون الجيوش البيزنطية، ثم استولى عليها السلاجقة عام **1082**، إذ دخلت في حوزة الملك ملكشاه بن ألب أرسلان بعد أن استولى على مدينة حلب. ثم أخذها الفرنجة عام **1106**م وعام **1108**م وبقوا فيها حتى عام **1149** حيث حررها نور الدين زنكي، فأعاد بناءها بعد أن دمرها الزلزال عام **1157**م، كما دمر العديد من المدن العربية كمدينة حماه، مما استدعى أن يهجرها أهلها ويسكن بعضهم في قلعتها ذات الموقع الدفاعي المهم[9]. هذا وقد عاش فيها وقاتل منها القائد العربي أسامة بن منقذ، كما ذكر في كتابة(العصا)[10]، ومن الجدير بالذكر هنا أن أحفاد أسرته موجودون حتى الآن فيها.

في العصر الحديث خضعت أفاميا، كبقية سوريا، للاحتلال العثماني مدة أربعة قرون، ومن بعده للاحتلال الفرنسي حتى عام **1946** ، هذا وقد جرت معركة حامية بين الحملة الفرنسية من جهة، والثوار السوريين من جهة أخرى، وعندما تعذر على هذه الحملة الالتفاف حولها، كنتيجة حتمية لمقاومة الثوار المتركزين خلف سورها، ونظراً لضيق المضيق الذي لا يزيد على مترين في بعض مواقعه، اضطرت الحملة إلى تفجيره وتوسيعه، حتى تتمكن عربات جنودها من الصعود إلى مستوى المدينة (أفاميا). وفيها أيضاً كان اللقاء الأول بين القائدين الكبيرين للثورة السورية **1920 – 1921** ضد الحملة الفرنسية، أي إبراهيم هنانو والشيخ صالح العلي حيث جرى هذا اللقاء بواسطة مختارها آنذاك علي الرعدون، وفي منزله ليتفقا على وضع خطة للثورة السورية ومقاومة

---

[9])– عبد الرزاق زقزوق، حماة سياحة وآثار.

[10])– أسامة بن منقذ، العصا، تحقيق حسن عباس، الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1978.

الفرنسيين[11] حتى استقلال كامل سوريا عام **1946**، وبدأ يبرز الدور المهم التاريخي والأثري السياحي لأفاميا منذ ذلك الحين.

هذا ونظراً لأهمية هذه المدينة وجمالها الكلاسيكي فقد أصبحت مركزاً مهماً للجذب السياحي ، ولعل من أجمل ما روي عن المدينة من قصص وحكايات هي قصة قناة العاشقين التي يقال : إن علماء الآثار قد اكتشفوا بعضاً من آثارها وأثبتوا صحتها إذ يقال: إن أميرتها الجميلة قد أعلنت أن من يستطيع إيصال المياه إلى مدينتها فهو الأجدر بأن يتزوجها ويصبح ملكاً على أفاميا.

هذا وقد استطاعت البعثات الأثرية الجديدة التنقيب وترميم العديد من الآثار والكشف عن نحو **6**كم من السور، كما استطاعت بناء المئات من الأعمدة، المتنوعة وترميمها، والكشف عن كثير من المباني المتعددة الوظائف والاستخدامات، كالحمام الشعبي في الجهة الشمالية الشرقية من الشارع الرئيس، وكذلك المحلات التجارية التي تتوزع على جانبي الشارع وعلى طابقين، وكذلك العديد من الأضرحة، ولعل أهمها على الإطلاق هو / معبد زيوس/ والذي يتميز بسعته وبوجود الأعمدة المقناة والمحلزنة فيه.

وكذلك تم الكشف عن مواقع عدّة مارست نشاطاً اجتماعياً وثقافياً مهماً، كالمدرسة المارونية[12]، كما كشفت إحدى البعثات الأثرية هذه في خرائبها، عن بقايا معبد لم تحدد هويته إلى الآن، وتدل واجهته التي أعيد إعمارها على أثر معماري مهم، وكذلك كُشِف عن كاتدرائية القديسين كوزما وأميان وبيت الغزال. كما قامت بعثة أثرية بلجيكية بالتنقيب منذ عام **1932**، وكان على رأسها علماء بلجيك منهم كيمون Kimon ومايانس

[11])– التلفزيون العربي السوري : من حديث خاص مع السيد علي الرعدون، مختار قلعة المضيق، صيف عام 1966، ومن لقاء مع أحد مرافقي الشيخ صالح العلي عام 1976.

[12])– عبد الرزاق زقزوق، حماة سياحة وآثار.

Mayansوجون لاكوست Jone lakost، ويتابع العمل فيها منذ زمن العالمان الشهيران جان بالتي Jane palty الإيطالي وزوجته الفرنسية الأصل جانيت Janet، بمشاركة علماء آثار سوريين. والآن ماذا عن لغة أفاميا ؟

ثالثاً: أفاميا اللغة:

ظلت اللهجة السريانية العربية هي السائدة في المنطقة، منذ ما قبل الميلاد بستة قرون، إلى ما بعده بسبعة قرون أخرى. أمّا في العهد الروماني، فقد فرض الرومان لغتهم اللاتينية، وفي العهد البيزنطي الذي تلاه، صارت اللغة اليونانية، هي اللغة الرسمية لدى الحكام والأغنياء من أهل البلاد السورية، حتى أن هؤلاء، صاروا يستعملون الأسماء اليونانية كما يكتبون شواهد قبورهم بها كتقليد متبع[13]، أمّا بقية الطبقات الشعبية، فقد ظلت اللهجة السريانية هي السائدة، هكذا إلى أن جاء الفتح الإسلامي، الذي شاع اللهجة العربية العدنانية (الفصحى) مع بقاء بعض الكلمات السريانية.

رابعاً : أفاميا العمران:

يوجد في المدينة منشآت مهمة، لا بدّ من التحدث عنها ببعض من التفصيل وأخص بالذكر تلك التي كانت على الطراز العربي السوري القديم. بداية لا بدّ لنا من الإشارة إلى اللآثار العمرانية القديمة، تلك المبنية من الطوب المشوي على الطراز العربي التي كانت قائمة منذ نشوء حضارة الشعوب العربية السورية القديمة كالبابلية والآشورية والكدانية وغيرها، وقت كان اسم المدينة– فرنقة أي اللبؤه– بدليل أن داخل هذه الأبنية وسقوفها كانت مقنطرة، وأحياناً على شكل عقود، وهو الأسلوب العربي السوري في البناء

[13])– راما كرياكي، أفاميا تاريخ وآثار، طبعة ثانية، مؤسسة الصالحاني، دمشق، 2007.

القديم، بحيث يتماسك الطوب بواسطة الطين. وما تبقى من هذه الآثار موجودة في الجهة الشرقية من المدينة، وقد شاهدتها بأم عيني، حيث ظلت عامرة حاضرة شاهدة على الحضارة العربية السورية. أمّا الإغريق والرومان فلم يتبعوا هذا الأسلوب في البناء، وإنّما استخدموا الحجارة الكبيرة ربما لتوافرها قرب المدينة.

ومن الغريب فعلاً، أن أحداً من المنقبين والباحثين لم يتعرض إلى هذا الجانب المعماري، الذي هو أصل حضارة أفاميا، فلماذا أهملوا هذا الأمر الجوهري ؟ والسؤال المهم هو: كيف كانت المدينة وقت مر بها الاسكندر المكدوني، ألم تكن مدينة عامرة قائمة تتباهى بحسن موقعها وجمال بنيانها حتى أدهشته فأطلق عليها اسمها الجديد – بيلا– أي الجميلة، ولماذا اتخذها سلوقس نيكاتور عاصمة حكمه وأطلق عليها اسم زوجته! والآن : ما كيفية البناء؟ وما الهيئة المعمارية؟ وما أهم المنشآت؟

1– كيفية البناء والهيئة المعمارية العربية للبيوت:

بنيت مدينة أفاميا على نظام رقعة الشطرنج وشكلها، وكان لها سور يحيط بها من جهاتها كلّها بلغ طوله **7**كغ، وقد تم الكشف عن **6**كم منه، في حين تبلغ مساحتها نحو **3**كم**2**. يخترقها من الشمال إلى الجنوب، أي من بوابة انطاكية حتى الكنيسة الدائرية في أقصى الجنوب، شارع رئيس إذ يبلغ طوله /**1850**/م، وبعرض يصل إلى **37.5**م بما في ذلك الرواقان الجانبيان، حيث تصطف الأعمدة الضخمة على جانبيه وعلى طول الشارع هذا في الساحة العامة (الآغورا)، أمّا عرضه العام فيبلغ **9** م، بينما يتقاطع مع العديد من الشوارع العرضية التي تتجه شرقاً وغرباً، وعددها /**15**/ شارعاً لتشكل عند تقاطعها مساحات تحوي نصباً تذكارية، لم يزل أحدها شاخصاً وشاهداً على جمال تخطيطها وعراقتها. وهذا النصب التذكاري عبارة عن عمود اسطواني يرتفع على قاعدة حجرية ضخمة، على شكل نجمة رباعية

الرؤوس، كي تساير بذلك اتجاه الشارعين المتقاطعين ، ويعلو العمود تاج كورنتي كان يحمل تمثالاً لأحد مشاهير المدينة (اللوحة رقم **2**).

ولا يزيد ارتفاع هذا النصب التذكاري على/**11**/أحد عشر متراً، أما الأعمدة التي يقارب عددها /**1200**/ألف ومئتي عمود ، فهي أعمدة ضخمة يبلغ قطر الواحد منها /**120**/سم وطولها /**10**/ أمتار[14] مع القاعدة والتاج (اللوحة رقم **3**) ، وهي على ثلاثة أنواع اسطوانية الملساء والمقناة والمحلزنة، تلك التي تتمتع بجمالها الأخاذ، إذ يتموضع، بشكل متعاكس من حيث حركة الدوران الحلزوني، واحد باتجاه اليمين والآخر باتجاه اليسار، مما يجعلها تشد الناظر إليها حتى الدهشة إذ تشكل لدى المشاهد مايسمى بالفن الحديث (**opeArt**) أي فن الخداع البصري. ومن الجدير بالذكر، أن هناك في الثلث العلوي من أعمدة الساحة تبرز كتلة باتجاه الداخل لتحمل تماثيل لمشاهير المدينة. وهذه الأعمدة توجد فقط في منتصف الشارع حيث (معبد زيوس) وساحة الأغورا، ويعلو الأعمدة تيجان كورنيشة مزينة بأوراق (الأكاونتوس) أي (الخرشوف)، أمّا الأعمدة التي هي على شكل موشور رباعي، فهي تتموضع على الزوايا الأربع، عند تقاطع الشوارع الفرعية مع الشارع الرئيس (اللوحة رقم **1**) .

بعد دراسة متأنية أُجْرِيَت في الموقع، ونتيجة لمشاهدات عدّة. تبيّن لي مايأتي. لما كانت المدينة تقع على الهضبة الممتدة جنوباً من الزاوية الجنوبية الغربية لجبل الزاوية التي تتميز بميول خفيف حتى الوادي الجنوبي، فقد أسهم هذا الميول كثيراً في طريقة البناء.

يمتد الشارع الرئيس من الشمال إلى الجنوب مسايراً لميول الأرض، إذ كانت العربات التي تجرها الخيول، تسير بشكل بسيط وسهل نزولاً، وهي محملة من حجارة

---

[14])– عبد الرزاق زقزوق، حماة سياحة وآثار.

المقالع التي تقع عند بداية الجبل، وكذلك تعود صعوداً بالسهولة ذاتها وهي فارغة، وقد رصف الشارع الرئيس وكذلك الشوارع الفرعية، بطبقة أولية من الحجارة الكبيرة، وهي عفوية الشكل، لكنها متلاصقة وعلى سوية واحدة. هذا وبعد أن نُقِلَ مايلزم من حجارة البناء والأعمدة وغيرها، رُصِفَت الشوارع بطبقة ثانية من الحجارة المتساوية الأبعاد بحدود 40–60سم، وذات سماكة واحدة بحدود 15سم ليس إلّا . ودليلنا على ذلك، أن هناك أجزاءً كثيرة من الشارع الرئيس، قد خلعت منها حجارة الطبقة الثانية وبقيت حجارة الطبقة الأولى مرصوفة بشكل جيد، تظهر عليها وعلى طول الشارع آثار عجلات العربات، خطان متوازيان متآكلان بعمق قد يصل إلى 10سم أحياناً. وأخيراً لابدّ من سؤال مهم، وهو كيف رفعت هذه الحجارة الكبيرة الحجم وثبتت فوق بعضها بعضا، والتي قد تصل أبعادها إلى 150–75 سم وبسماكة 50 سم، وكذلك قطع الأعمدة وتيجانها أمّا عملية الرفع فقد تمت بواسطة روافع خشبية تديرها وتحركها بالاتجاهات كلّها الفيلة التي جيء بها من الهند.

أما عن طريق التثبيت، وهو الموضوع المهم هنا، فهو كما لاحظت وعرفت فيما بعد، أنه كانت تحدث حفراً بأبعاد متساوية في كلتا الجهتين ،العليا والسفلى بحدود 10–15 سم وبعمق 10سم أيضاً، من ثم تثبت في الجهة العليا من الحجر، كتلة من الرصاص بالأبعاد ذاتها ولكن بحجم مضاعف أي 20–15 سم، وعندما يوضع الحجر العلوي يدخل الجزء العلوي من كتلة الرصاص في الحفرة السفلي منها، ممّا يؤدي إلى ترابط الحجارة بشكل جيد. وهذا مايتبع أيضاً في تركيب قطع الأعمدة، ولكن كتلة الرصاص في هذه الحالة، تكون اسطوانية الشكل، لاحظ الرسم التوضيحي الآتي:

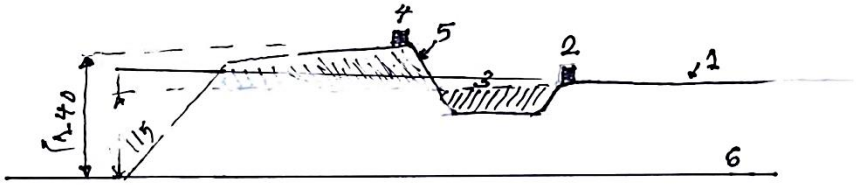
مقطع يبين كيفية تثبيت حجارة البناء

دلالات الأرقام:

1 – حجارة البناء.

2 – حفرة في الحجارة.

3– كتلة الرصاص.



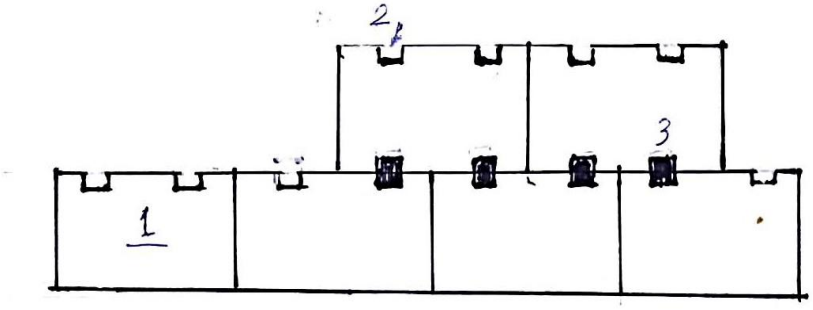
مقطع يبين التعديلات التي أُدْخلت لإحداث الأكروبول (الحصن):

دلالات الأرقام:

1– مستوى بناء المدينة(أفاميا). 2 – سور المدينة. 3– وادٍ اصطناعي.

4– سور الحصن(سور القلعة).

5– ارتفاع اصطناعي–وهو التراب الحاصل من رقم(3) 6 – مستوى أرض الغاب.



أمّا البنية المعمارية العربية للبيوت فتتلخص وحدة البيوت المعمارية بمدخل مزخرف ضمن واجهة من حجارة كبيرة، يؤدي إلى داخل البيت ذي الباحة المعمدة، وهي مستطيلة حيناً ومربعة حيناً آخر. وتحيط بالباحة غرف الطابق الأرضي المؤلفة من قاعة استقبال وغرفة الطعام. وقد راوحت مساحات هذه الدور بين 200م إلى 5000م، والمساحات الأخيرة هذه كانت للارستقراطين من حكام المدينة. ومن أهم هذه الأبنية قصر الحاكم (التريكلينوس)، حيث اكتشفت فيه لوحات فسيفسائية كثيرة ورائعة، أهمها لوحة الصيد، وكذلك لوحة الأمازونات[15]. هذا وقد كُشِفَ عن العديد من البيوت ذات مساحات مختلفة، وتاريخ بناء متفاوت، ولعل أوسعها هو بيت التيجان ذو الحوامل(اللوحة 4) ، ويُعَدُّ بيت الإيل من أهم هذه المساكن- إذ كُشِفَ فيه على مجموعة مهمة أيضاً من الفسيفساء/ كفسيفساء الأيل ذات النقوش والرسوم الحيوانية -ويقال له بيت الحاكم (اللوحة5).

2- السور:

يظهر السور حول مدينة أفاميا من الطريق الذي أنشئ حديثاً، أي في نهاية القرن العشرين والذي يكاد يساير السور من جهاته كلّها، يتبيّن أن المدينة كانت محاطة بأسوار حصينة، يبلغ طول محيطها 7كم، مدعمة بنحو مئة برج، ويرجع مخططه العام إلى العصر الهيليني. وقد تعرضت هذه الأسوار لعملية إصلاح وتدعيم في العصرين

[15])- الأمازونات هن محاربات اغريقيات شرسات، وقد جاءت التسمية من كلمتي آما-زون-أي بلا ثدي، إذ كنّ يقطعن الثدي الأيمن كي لا يعيقهن في أثناء رمي السهام.

الروماني والبيزنطي، في حين ما زالت الأساسات تعود إلى المرحلة في عهد سلوقس نيكانور، وإنّما تأخر بناؤه نحو مئة سنة.

3- المسرح:

يقع المسرح إلى غرب المدينة جنوب الأكروبول، وقد شيد كالعادة على منحدر كان ميوله مناسباً لإنشاء المدرجات. فقد بُنِيَ على نهاية السفح الشمالي للوادي الجنوبي للأكروبول، غير أنه وللأسف الشديد، فقد استعملت حجارة الجزء الكبير من السور المجاور له، وحجارة مدرجاته والقسم الأكبر من واجهته، في بناء ترميم سور القلعة، بعد أن حررها العرب من الفرنجة. وكانت أفاميا قد تهدمت بفعل الزلازل المتكررة، وذلك في القرن الثاني عشر الميلادي. كما ويُعُدُّ مسرحها من أكبر المسارح في العالم، وهو على كل حال أكبر مسرح سوري في العصر الروماني، اذ يبلغ عرضه كما يقول الباحثون نحو 137متراً، في حين يبلغ عرض قطر مسرح بصرى 90متراً[16] (اللوحة رقم 6).

4- القلعة:

القلعة "الأكروبول": كنا قد اطلعنا على لمحة أو سيرة تاريخية لهذه القلعة الكبيرة، التي تقف شامخة مطلة على السهل الفسيح، ولكن ماذا عن سيرتها الجغرافية والعمرانية. فمن الواضح للناظر المتأمل، أنّه لا يمكن أن يكون شكل التل طبيعياً، فهو يعلو ما حوله ومن جهاته كلّها وبانحدار شديد يصعب الوصول إليه إلا من طريق وحيد، وكأنه شكل أو خلق ليكون قلعة حصينة ليس إلّا.

أمّا ما يخص قلعة المضيق فهي قلعة عربية أقيمت فوق أنقاض الأكروبول الإغريقي القديم وعليها، وكان مأهولاً منذ القرن الخامس قبل الميلاد وحتى الآن. أما

[16])- راما كرياكي، أفاميا تاريخ وآثار.

سفوحها فلقد كانت مأهولة منذ العصر الحجري الوسيط والحديث. كانت تعرف بقلعة أفاميا حتى القرن السادس حيث دعيت قلعة المضيق، وذلك بعد الفتح العربي الإسلامي، نسبة إلى الشق الصخري الضيق والمتعرج على شكل حرف **Z**، الذي يقع إلى جنوبها، وكان هو الممر الوحيد إليها.

تطل القلعة من الجهة الغربية على سهل الغاب بانحدار شديد، ويحددها من الشمال والجنوب واديان قصيران وعميقان، ينحدران تماماً في الجهة الغربية، ومن الطبيعي أن يكون مستوى الأرض للقلعة موازيا ومساويا لأرض المدينة، فهو ليس إلا استمرارا له، لكنه في الواقع الحالي ليس كذلك، فهو أعلى من مستوى المدينة ومتميز عنها بوضوح فكيف تم ذلك؟

الحقيقة أن الروم عندما قام السوريون بإعادة بناء المدينة ولاحظوا تميز هذا الموقع، أرادوا أن يشيدوا حصنهم المنيع ولجؤوا إلى رفع مستواه، وذلك بأنهم حفروا وادياً ثالثاً بشكل عرضي يصل بين الواديين الشمالي والجنوبي، ويفصل بين المدينة والحصن. أما كمية التراب الكبيرة المستخرجة من الوادي الصناعي هذا، فقد أضفيت إلى التلة، مما زاد في ارتفاعها وشدة انحدارها، بدليل أن القسم العلوي المضاف يكون مكسواً بالحجارة لكي يمنع تأثّره بالأمطار الشديدة وانهدامه(انظر الرسم التوضيحي السابق ص 9).

5- المعابد والمنشأت الدينية:

تُعَدُّ المعابد من المباني التي كانت تحظى باهتمام كبير، ويخصص لها أقصى ما يمكن من جهد واعتناء في معظم بلاد العالم. ومن المعابد التي كشف الغطاء عنها في أفاميا. معبد الحوريات، ومعبد الإله زيوس، وعدد من الكنائس كالكنيسة المارونية والدائرية. كما اكْتُشِفَت منحوتات تمثل مشاهد تتعلق بعبادة الكرمة، وترمز إلى عباد

باخوس (إله الخمر)[17]. ولابدّ هنا أن نتحدث بشيء من التفصيل عن معبد زيوس الذي يقع في منتصف المدينة، بحيث تقع الساحة العامة (الأغورا) أمامه، وتمتاز بسعتها وفخامة بنائها وتميزها باستخدام الأعمدة الحلزونية فيها(الوحة رقم 3).

يتميز بناء المعبد بسعته وجميل هندسته وزخرفته، إذ تتميز الأعمدة حاملة بنائه بقاعدة خاصة تميزت بزخارفها الجميلة جداً، وهي المرة الأولى التي تزخرف فيها القواعد بهذا الشكل، وربما الوحيدة لأنها موجودة في أفاميا فقط، وهي لاتزال صامدة حتى الآن في الجانب الشمالي من المعبد. هذا وقد بني حوض للمياه يقع إلى جانب المعبد، كي يلبي حاجة المعبد وربما السوق كلّها، ولايزال أثر هذا الحوض موجوداً على رأس التلة التي هي في الواقع أعلى نقطة في المدينة، وقد بني من الآجر المتراص، ولذا يعتقد أن بناءه كان هيلينياً وليس رومانياً. ويبدو أن التخريب سنة من سنن الحضارة وليس الطبيعة فقط، فبين عامي/384–385/ للميلاد، أصدر المطران مركيليوس أمراً لهدم المعبد، بحيث لم يبق منه سوى كتلة الأساس الهائلة. وكان المطران مركيليوس هذا يهدف من وراء هدم هذا المعبد كاملاً إلى استئصال الوثنية من المنطقة وإفساح المجال للمسيحية بالانتشار[(18)].

أمّا عن الكنائس، فمن الثابت وجود أسقفية منذ بداية القرن الرابع. ومن أهم الآثار المسيحية المكتشفة الكاتدرائية التي تشبه في واجهتها الضخمة ذات الأعمدة الثلاثة واجهة قلعة سمعان، بلغت مساحتها نحو12000م2، وهي غنية جداً بالزخارف المنحوتة على واجهتها، وكذلك بلوحات الفسيفساء التي عُثِرَ عليها بين عامي 1935–1972، وقد بقي بعضها في مكانه وهو ذو زخارف هندسية أمّا اللوحات ذات الرسوم التصويرية،

[17])– المرجع نفسه.

[18])– راما كرباتي ، أفاميا تاريخ وآثار.

فقد رُفِعَت وعُرِضَت، وإحداها وهي (الحوريات) المحفوظة في متحف بروكسل (اللوحة رقم 7).

هذا وقد حُرِّرَت كنيستان من منطقة مركز المدينة بشكل كامل، أمّا بقية الكنائس المخربة جداً، فلم يتعرف المنقبون إليها. ومن أهم الكنائس كنيستان، أولاهما هي الكنيسة ذات الباحة (الأتريوم) التي تحوي على باحة نادرة في سوريا، إذ لوحظ فيها تأثر مباشر لمعماريين من القسطنطينية. يرجع بناؤها إلى القرن الخامس الميلادي[19]. والكنيسة الثانية المهمة جداً فهي كنيسة ذات مخطط دائري، لها باحة فسيحة، يحيط بها رواق ذو أعمدة مازالت قواعدها المستديرة ظاهرة للعيان، وهو تشكيل يعدّ حتى اليوم حالة فريدة في فن العمارة المسيحية في المنطقة. وثمة مسألة أخرى ملحوظة بالنسبة إلى هذه الكنيسة، وهي مسألة الغطاء المحتمل للفضاء المركزي الدائري لها. والذي يصل قطره إلى 25م. ومن الجدير بالذكر، أن هناك مشابهاً لهذا النموذج المعماري، وهو كنيسة العذراء في بيسان في فلسطين، إذ يشبه مخططها كثيراً، ومن جوانب عدّة، كنيسة أفاميا هذه[20].

أما بالنسبة إلى المنشأت العربية الإسلامية فأهمها: / الجامع العثماني / الذي شيد في المرحلة العثمانية ذاتها على مصطبة حجرية في السفح الجنوبي للقلعة.

6- الحمامات:

كثرت الحمامات العامة ، وانتشرت في العديد من المدن السورية وخاصة في العهود الرومانية . أمّا في أفاميا فقد كشفت البعثات الأثرية بحفرياتها، عن أبنية يعتقد

---

[19])- المرجع نفسه.

[20])- تأكدت من هذا شخصياً وبسهولة، ككثيرين معنيين، وذلك من خلال الرؤية المقارنة المباشرة بالعين المجردة.

بأنها كانت حمامات عامة، إذ تعرف الباحثون على موقعيها الجواني (الكالداريوم) والوسطاني(البيداريوم)، وممّا أكد صحة هذا الرأي وجود أقنية مائية قرب هذه الأبنية بنيت من الآجر مع مغاطس جانبية. ومن الحمامات الفريدة والمميزة، الحمام الموجود في الزاوية الجنوبية الشرقية من البحيرة التي مازالت آثاره باقية حتى أواخر القرن العشرين، إذ كانت نساء القرية يأتين إليه ليغتسلن خلف ماتبقى من جدرانه، ويغسلن الثياب على صخوره المتبقية والظاهرة في مياه البحيرة. لأنّ العثمانيين عندما بنوا الطاحون، اضطروا لأن يشيدوا سداً منيعاً يحبس خلفه مياه البحيرة ويرفع من مستواها، لكي يضمنوا تدفقا قويا يستطيع إدارة عنفات الرحى، هكذا ارتفع مستوى الماء، وغمر جزءاً ممّا تبقى من الحمام الروماني، بعد انهدامه بواسطة الزلازل غير أنه– ومع الأسف الشديد– فإن تمدد البنيان العشوائي أتى على ماتبقى منه، ولم يبقَ من آثاره مايذكر سوى اسم الموقع الجديد(حارة الحمام).

7– الأقنية:

أفادت البعثة البلجيكية برئاسة(مايانس) كثيراً من الصور الجوية التي أخذت حينها بواسطة الطائرة، فمكنتها من رؤية نقاط صغيرة ممتدة على شكل مستقيم بمحاذاة الشارع الرئيس، وعندما حُفِرَ حول هذه النقاط، كشفت عن تيجان ركائز عريضة مربعة االشكل كانت تحمل قناطر تسير من فوقها قناة الماء التي تسقي المدينة، هذا ولما تعمقت البعثة المذكورة في الحفر، اكتشفت أن الأقنية السفلية مازالت سالمة موزعة في المدينة على شكل أنفاق وأسطوانات حجرية ضخمة، يبلغ قطرها الخارجي نحو المتر الواحد ، والداخلي نحو نصف متر، وهي بجميعها من الحجر الجيري الصلب، ومحفورة حفراً متقناً بحيث يدخل أول واحدتها بآخر ماقبلها على مبدأ السالب والموجب في بناء مثل هذه الأقنية وهو الأسلوب المتبع حتى الآن. أما تفرعات هذه الأقنية، فهي قساطل فخارية صغيرة يبلغ قطرها/25–30/ سم تتوزع في أنحاء المدينة جميعها.

ظل مصدر هذه المياه مدّة طويلة مجهولاً حتى ثبت أخيراً بأنها من مياه السلمية، وجاءت بواسطة الحكاية الجميلة التي تروى عن قناة العاشق، مع أن أفاميا غنية جداً بمصادر المياه، غير أن هذه المصادر كلّها هي من مستويات أدنى من مستوى المدينة. هذا وتُعَدُّ هذه الأقنية من أجمل الآثار العمرانية في العصر الهيليني[21].

خامساً – أفاميا - الفنون الجميلة:

وقفة متأنية لابدّ منها، هنا عند هذا العنوان الذي هو عنوان الجمال ورمزه في أفاميا الجميلة، فقد تعددت أنواعه وأشكاله، كالفسيفساء وتيجان الأعمدة والتماثيل والنواميس التي سَنَعْرِضُ فيما يأتي لكل منها بالتفصيل. لكن وقبل ذلك، لابدّ من تأكيد نظرية تفاعل الحضارات وتأثر الجديد منها بالأقدم، فكيف إذا كانت اليونانية جاءت إلى سوريا وكانت مشبعة أصلاً بالحضارة العربية السورية القديمة لغة وفناً. نذكر على سبيل المثال الزخارف والأطر للوحات الفسيفسائية، ورسم حيوان مجنح في إحداها، وهو تأثر واضح بالفكر السوري القديم كالثور المجنح البابلي والأسد المجنح الأشوري وهكذا، عدا أن المنفذين أعني الرسام والنحات والفسيفسائي، هم سوريون في الأصل (اللوحة 8)، ويعملون من ثقافتهم في الفنون الجميلة العربية السورية. ومن المفيد التأكيد مع الدكتور بهنسي على ما قاله روني هويغ في تعريف تاريخ الفن ، فهو ليس مجرد صور تتوالى ندأب في تثبيتها وتوقيتها، أنه يحوي رواية صرخة لتاريخ الحضارة فيقدمها مرئية ومكتوبة.

إذا كانت الفنون هي نتاج ثقافي يعطي الحضارة صفاته وميزاتها، فقد كانت الحضارة الآفامية راقية بامتياز، وما ذلك إلا لتنوع عناصرها، ونخص بالذكر منها

---

[21])– عفيف بهنسي، تاريخ الفن والعمارة، دار الشرق، نبيل طعمة، دمشق، 2003، الجزء الثاني، ص 9 .

المنحوتات كالتماثيل الشخصية وتيجان الأعمدة والتوابيت، أمّا فيما يخص الرسم فمن المعروف أن الرومان قد أهملوا الرسم واهتموا بالنحت، أمّا في أفاميا فقد اعتمد أصحاب الحوانيت على طول الشارع الرئيس رسوماً تدل أو تشير إلى مبيعاتهم، وأحياناً إلى أسمائهم، وقد رسمت بأسلوب الفريسك على واجهة المحلات، أي أنه كان يستخدم كوسيلة إعلانية، والآن ماهي أبرز أثار هذه الفنون؟

2–الفسيفساء:

للحقيقة فإن أكثر مايميز أفاميا في مجال الفنون الجميلة هو الفسيفساء، إذ تبدو كلّ منشأة فيها وقد كُسِيَت أرضها بلوحات الفسيفساء حتى لتبدو وكأنها فرشت على بساط من الموزاييك– هذا ماقاله لي المنقب الإيطالي الكبير– جان بالتي– عندما قابلته هناك عام 1966 حين كان ينقب في آثار كنيسة بيزنطية. وليس أدل على ذلك ممّا ورد في مقدمة كتاب "متحف أفاميا للفسيفساء" التي كتبها الدكتور عفيف البهنسي، إذ يقول: "إن هذه الألواح الفسيفسائية، هي من أهم الآثار الفنية التي تركها لنا السلف منذ العهود الرومانية والبيزنطية، والتي أنجزها عمال محليون بأسلوب متميز، ولكن بموضوعات لها علاقة بالأساطير القديمة، أو بالأحداث الدينية"، ويتابع: "إن هذه الوفرة من الفسيفساء، هي بسبب زوال آثار المنشأة الأصلية إذ نقلناها إلى هذا المتحف، واستبقينا الكثير من الألواح في أماكنها بعد ترميمها لكي تعيش في جو المنشأت الآثرية التي ولدت معها". ومن أهم هذه اللوحات هي الآتية:

آ– **فسيفساء سقراط** (اللوحة رقم9)[22]:

عثر عليها تحت بناء الكاتدرائية الكبرى، وتؤرخ بسنتي 362–363م، وتمثل سقراط وحوله ستة حكماء، ويمثل الجانب الأيمن من هذه اللوحة زخارف هندسية رائعة، ضمن إطار نباتي جميل، ويحيط برأس سقراط كلمة بأحرف يونانية تشير إلى اسمه.

[22])– عبد الرزاق زقزوق، متحف أفاميا للفسيفساء.

ب- فسيفساء الحوريات[23]:

وهي من روائع اللوحات التي عثر عليها في أفاميا، وقد وجدت في المبنى الذي أنشئت فوقه الكاتدرائية الكبرى، أي في الطبقة السفلى لها، وتؤرخ بعام362-363 م أيضا. وهي تمثل مجموعة من الفاتنات في مباراة للجمال، ومن الملاحظ وجود كتابات تعرف بأسمائهن، وهنّ من اليسار إلى اليمين كما يأتي:

إغليز وهي إحدى الفاتنات الثلاث، أم الحوريات وأكثرهن جمالاً. وقد بدت عارية بجسمها الممتلئ أنوثة، تقالبها الحورية (دوريس)، وتليها آفروويت، تليها (بايثو)، ثم (كراسيس). ونرى بجانبها إله البحر بوزيدون نفسه سيد الحفل، يجلس خلف طاولة عليها تاج مرصع هو تاج المباراة. امّا كاسيوبة فتبدو عارية تماماً بجسمها الجميل وشبابها الفضي، وفي نهاية هذه اللوحة نرى صورة الفاتنة المنتصرة تحمل بيدها اليمنى إكليلاً، وبيدها اليسرى غصن نخيل، وقد فازت في مسابقة الجمال هذه (اللوحة رقمه 7)[24].

ج- فسيفساء الوعل[25]:

عثر عليها في الغرفة(2) الواقعة في البيت المعروف ببيت الوعل نسبة إلى هذه الفسيفساء المتميزة فيه. وتمثل وعلاً جميلاً في الوسط فوق أرضية مليئة بعنصر نباتي مكرر. يحيط به إطار ذو زخارف هندسية غاية في الجمال، حيث يبدو بوضوح أثر الزخرفة العربية السورية القديمة.

---

[23])- المرجع نفسه.

[24])- المرجع نفسه.

[25])- المرجع نفسه.

د– فسيفساء(الأسقف يولس)[26]:

عثر عليها في الكاتدرائية أيضاً، وهي تمثل مجموعة من الحيوانات تتوضع في الوسط. يحيط بها إطار في زواياه الأربع، مزهريات جميلة مختلفة الأشكال، تحصر بينها صور حيوانات أهمها، صورة العنقاء على شكل حيوان مجنح له رأس طائر حيث يبدو أثر الفكر الفني للشعوب السورية العربية السابقة من المنطقة واضحاً، هذا فضلا عن صورة غزال يعض ثعبان، وفي مركز اللوحة توجد كتابة يونانية نصها.

هذه الفسيفساء الغنية الألوان، مقدمة من (بولس ذي الروح الغنية والعقيدة السامية). هذا ويمكن إرجاع هذه اللوحة للربع الثاني من القرن السادس الميلادي.

هـ– فسيفساء (الأمازونات)[27]:

عثر عليها في الغرفة (T) في المبنى المسمى تريكلينوس الذي يظن بأنه قصرالحاكم. وتمثل هذه الفسيفساء فارستين تمتطيان صهوتي جواديهما تصطادان بعض الوحوش، ويحيط بهذا المنظر، إطاران من الزخارف النباتية الهندسية المحورة عن الواقع. ويمكن إرجاع هذه اللوحة إلى النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي. هذا وقد سرقت هذه اللوحة عام 1968 وأُعيدَت من قبل المتحف الأمريكي الذي حصل على الأجزاء الرئيسة منها.

و– فسيفساء الصيد[28]:

وهي تمثل عملية الصيد بأنواعه كلّها، صيد الإنسان للحيوانت راجلاً وفارساً، وبأنواع الأسلحة المعروفة آنذاك كلّها، فإذ به يصطاد غزالا أو أسدا وأحيانا بواسطة الكلاب وهي تطارد الأرانب ، كما تصور في موضع منها أسداً يصطاد غزالاً، ولاتخلو

---

[26])– المرجع نفسه.

[27])– راما كرياكي، أفاميا تاريخ وآثار.

[28])– المرجع نفسه.

هذه اللوحة من المشاهد الطبيعية، إذ لم ينس الفنان أن يزينها بالشجرة وبعض الحيوانات الأخرى. وهي موجودة الآن في المتاحف الملكية للفن والتاريخ في بروكسل (اللوحة رقم 10).

2- التماثيل:

من الواضح أن أفاميا كانت تحوي عدداً كبيراً من تماثيل شخصياتها، أو مايتعلق بالفكر الديني في المرحلتين اليونانية والرومانية. ولكن ومع الأسف الشديد أنها قد سرقت أو أتلفت بمعظمها، ودليلنا على ذلك كثرة ماتبقى من قواعدها. والحقيقة التي لابدّ من ذكرها، أن السبب الأول في تحطيم التماثيل، هو الفكر المغلوط فيه لدى بعض العرب المسلمين عندما دخلوها بعد أن دمرها الزلزال الكبير. دخلوها مهدمة فحطموا تماثيلها على أنها أصنام، وهنا يكمن الخطأ، فقد حطم المسلمون الأوائل الأصنام، لأنها كانت تعبد من دون الله، أمّا التماثيل هنا فما وجدت إلا لهذف جمالي تاريخي ليس إلا.

من التماثيل الي عثر عليها، تمثال إمرأة من الرخام يمثل امرأة واقفة ترتدي ثياباً شفافة، تنم عن بعض تفاصيل الجسم التشريحية، ولهذه الثياب طيات وثنيات أبدع الفنان في نحتها ورأس هذا التمثال مفقود، وكذلك ذراعه اليمنى وجزءٌ من ذراعه اليسرى، وقد عُثِرَ عليه خلف سبيل الماء الواقع وسط الشارع الرئيس، ولعله يمثل إله الصحة (اللوحة11). كما عثر على تمثال رجل يرتدي وشاحاً له طيات تغطي نصفه الأسفل وكتفه الأيسر، عثر عليه بين أنقاض البيت البيزنطي. كما عثر على تمثال رجل آخر يمثل (اسكلاب آلة الطب) وكان قد وجد في الشارع الرئيس مقابل سبيل الماء، وهو موجود في متحف حماة (اللوحة الرقم12) ولعل أكثر ماتبقى من التماثيل هو قواعدها

التي تدل على شخصيات أصحابها، إذ يكتب عليها اسم هاديها والمهدى إليه نذكر منها[29]:

قاعدة تمثال عثر عليها قرب البوابة الشمالية، ومن المرجح أنها كانت تحمل تمثالاً برونزياً، كتب عليها لأجل (تيتوس فلاميوس سلوقس) من ابنه فليون من قبيلة كيرينا. وقاعدة أخرى عليها كتابة لاتينية تخص اغريبا.

قاعدة تمثال مكتوبة، عثر عليها في منطقة المسرح ويمكن تأريخها بين سنتي 362–363 تخص الامبراطور (جوليان المارق) ونقش عليها كلمة: المعظم كما عثر في المكان نفسه، على قاعدة أخرى، ترقى للتاريخ ذاته مكتوب عليها: إلى الأبدي المعظم ،الخالد المدعو بالأفامي.

ومن الغريب حقاً أني شاهدت قاعدة تمثال مكتوبة باليونانية، وقد أتلف تمثالها وبقي جزء منه، لأكتشف أن النحات قد نحتها مع التمثال كعمل واحد تكمله ويكملها.

3- التيجان:

علمنا سابقاً أن الشارع الرئيس يحوي على1200عمود، هذا يعني أنّها تحمل 1200 تاجٍ، جميعها من النوع الكورنثي، المزين بأوراق الخرشوف (الأكاونتوس) الشوكية المتشرة بكثرة في المنطقة. أمّا في الشوارع المعترضة: فتكون الأعمدة أصغر، وكذلك تيجانها، وهي غالباً من النوعين الآخرين، الدورى والأيوني، هذا وقد أتلف وسرق كثير منها، وبقي بعضها صامداً، شامخاً فوق أعمدتها يتحدى عوامل الزمن ويثير شهية اللصوص(اللوحة رقم 13).

[29])– عبد الرزاق زقزوق، متحف أفاميا للفسيفساء.

4- التوابيت:

تابوت حجري يرقى للقرن الثاني الميلادي، عثر عليه في المقبرة الشمالية، نميز على وجهه منحوتات آدمية ونباتية تمثل ربة النصر في زوايا التابوت، مع بعض أكاليل الزهور ووجه الغورغون [30]. فضلاً عن طفلين محتجزين يمسكان بطرفي إطار يضم بداخله كتابة لاتينية، وتوجد على ظهر التابوت منحوتات تمثل أسدين متقابلين(اللوحة رقم14). أمّا نصّ الكتابة فهي كما يأتي لأنتويا كارا، البالغة من العمر 28 سنة و4 أشهر من (بروبيوس و سانكتوس) قائد المائة في الفيلق البارثي الثاني – قد صنع هذا التابوت لزوجته التي لا نظير لها.

5- الخان والمتحف:

يقع المتحف أو الخان إلى الجنوب من القلعة مباشرة، وهو من أكبر الخانات العثمانية التي بنيت في المرحلة العثمانية على طول طريق الحج في بداية القرن السادس عشر الميلادي سنة **1521**، خلال فترة حكم السلطان سليمان القانوني، الذي حكم بين العامين **1520-1566**، أمّا بانيه فهو / محمد قيزلهار/، وهو بناء على شكل مربع طول ضلعه**83**م، (اللوحة رقم **15**) تتوسطه ساحة مربعة الشكل أيضاً، يتوسطها منها بعمق **7**م ينزل إليه بدرج، وتصل المياه إليه عبر قناة فخارية من بحيرة أفاميا التي تقع إلى غربه تماما، ولا يفصله عنها أكثر من /**100**/م متر تقريباً. هذا وقد بنيت قاعات الخان من الحجارة الكبيرة التي جيء بها أيضاً من سور أفاميا الجنوبي، وهي مسقوفة بأقبية برميلية الشكل، تحمل عقوداً نصف دائرية، تعرف بالقوس السناني نسبة إلى

[30]- الغورغون: هن أخوات ثلاث معروفات في الأساطير اليونانية (ميديوزا وأوريانا وسينيفو) لهن ملامح مخيفة، وشعور أفعوانية الشكل، وأنياب كأنياب الخنزير، وعيون قادرة على تحويل من تنظر إليه إلى حجر، كي يسكن عالم الظلمات.

المعماري الشهير سنان باشا. أمّا عند تقاطع الجناح الغربي مع الجنوبي فإنها مسقوفة بقبو متقاطع، وهو الأسلوب الأيوبي في العمارة الإسلامية.(انظر اللوحة رقم **16**). كما توجد في غرف هذا الخان جميعها، واجهة مواقد كثيرة تتقدمها مصاطب، كان الحجاج والمسافرون يستخدمونها للنوم والجلوس.

هذا وقد ذكر الرحالة ابراهيم الخياري، الذي زار المنطقة عم **1082**هـ – **1669**م، في أثناء سفره من المدينة المنورة إلى القسطنطينية، بأنّه مرّ بقلعة يقال لها المضيق، فيها خان جديد عمرّه محمد آغا قزلار، وبنى بالقرب منه جامعاً ومنارةً. ويتابع الخياري في كتابه (تحفة الأدباء وسلوة الغرباء)، أنّ فيها أناس ساكنون. وبركة ماء، وفيها عنب نفيس ورقيق القشر جداً، أحلى من أي عنب أكلناه في سفرنا هذا[31].

رمم الخان سنة **1982**، وحُوِّلَ إلى متحف تحوي قاعاته الواسعة آثاراً جميلة منوعة، ليس من أفاميا فحسب بل من العوالم والمواقع الأثرية كلّها من حولها، مثل حورته ومورك وصوران، ويحوي العديد من التماثيل ذات المواضيع والحجوم المختلفة. وهناك أيضاً العديد من القبور والنقوش والمقاعد والطاولات الرخامية. غير أنّ أكثر ما يميز هذا المتحف هي لوحات الموزاييك التي كان من أشهرها لوحة سقراط والحكماء الستة، وكذلك العديد من اللوحات التي تعالج موضوع الصيد والزخارف الهندسية والنباتية والحيوانية[32].

سادساً: الأهمية السياحية:

إذا أردنا أن نعرف أهمية مدينة أفاميا الأثرية، فعلينا أن نطلع على شهادة الخبير الفرنسي الكبير أندريه بارو مدير متحف اللوفر، ووزير الثقافة الفرنسية سابقا، ورأيه في

---

[31])– عبد الرزاق زقزوق، متحف أفاميا للفسيفساء.

[32])– المرجع نفسه.

مدينة أفاميا الأثرية ، يقول بارو في إحدى كتاباته: إن أفاميا وحدها تغني سوريا بآثارها، وشبه البروفيسور بارو أفاميا بجسد صبية حسناء مسجاة ومطمورة بالتراب. ويتابع القول: وليس على السوريين إلا إزاحة التراب، ونفض الغبار عن هذا الجسد، ليكتشفوا ما تحته من كنوز وثروات، من جمال وحضارة. هذه هي حقيقة أفاميا فبقدر ما اهتم بها الإنسان وأسس فيها وجوده، خطط ونظم وأشاد المعابد والكنائس والقصور، والمساكن والمحال التجارية، المدارس والمعاهد، والمسرح والحصن المنيع، بقدر ما قست عليها الطبيعة والبشر الآخرون، إذ تعرضت لغزوات معادية مخربة وناهبة، وتتالت عليها الهزات الأرضية المدمرة، بعد أن عاصرت عدة حقب وحضارات منذ ما قبل التاريخ الكتابي، فالحضارة السورية العربية القديمة، فاليونانية والهيلينية والرومانية والبيزنطية، فالعربية الإسلامية حتى أهملت تماماً في العهود العثمانية فإذا بها أثراً بعد عين، فتهدم سورها وانهارت الأعمدة في شارعها وسقوف منازلها، فطمرت معها كنوزها وثرواتها، ومنها لوحات الفسيفساء، والتماثيل والنقوش وخوابي الذهب والفضة. أجل هذه هي حقيقة أفاميا، ولكن مع الأسف الشديد، فبقدر ما قست عليها الطبيعة، قسا عليها لصوص الآثار وراحوا ينشطون وينهبون حتى أصبحت الآثار مصدر رزق مهم لهم، ومصدر ثراء للتجار والمتعاملين معهم وما أكثرهم.

وكانت الطامة الكبرى في أثناء أحداث التآمر على الوطن العربي الغالي ومنه سوريا، ففي عام /2011/ وبعد بداية الأحداث المؤسفة، وجد اللصوص ضالتهم، فقد سنحت لهم الفرصة لأن يحققوا أحلامهم بسرقة الآثار. فإذا بخمس عشرة ورشة مجهزة بأحدث الآليات، حافرات وجرافات تعمل ليل نهار، لتكون النتيجة سرقة مئتي لوحة فسيفساء والعديد من التيجان والتماثيل، وصلتني صورٌ لها جميعها، موثقة في عبوة الكترونية (فلاشة) سلمتها إلى المدير العام للآثار والمتاحف، أذكر منها لوحة فسيفساء

8–6 م. ومنها (اللوحة رقم 17) التي استشهد بها الدكتور مأمون عبد الكريم، المدير العام للآثار والمتاحف–في كتابه عن الإرث السوري خلال الأزمة[33].

ولعل ما سأذكره الآن يسهم في إيضاح أهمية أفاميا السياحية المحلية والدولية. في عام1930 جاءت البعثة البلجيكية برئاسة العالم الأثري مايانس، الأستاذ في جامعة لوفان. وبعد انتهاء أعمالها حملت البعثة إلى بروكسل عاصمة بلادها حصتها من الآثار المكتشفة، ووضعت ما حملته في جناح خاص داخل (حديقة المتحف الخمسيني) ولشدة تأثرها بجمال آثار أفاميا أنشأت في تلك الحديقة أيضا نموذجاً لبوابة انطاكية والشارع الرئيس بطول خمسة وثلاثين متراً مع الرواقين والأعمدة المحلزنة، وجداراً طبق الأصل. ولكن من المؤسف له، أيضاً، أن حظها العاثر قد لحقها إلى هناك، فقد قصف هذا المتحف خلال الحرب العالمية الثانية، وتهدمت آثار أفاميا هذه من جملة ما تحطم، ولم يَبْقَ منها سوى الفسيفساء التي نجت بفضل الردم الذي حفظها كما حفظتها من قبل أفاميا نفسها [34].

الخاتمة:

نستنتج ممّا سبق أهمية أفاميا التاريخية والأثرية والسياحية بالدرجة الأولى. ولا ننسى أن هناك العديد من الدول تعتمد في ثرائها على السياحة الأثرية كإسبانيا وفيها قصر الحمراء، و فرنسا وفيها متحف اللوفر، ومهما عددنا من مواقع في هذا العالم، فهي ليست بأي حال أفضل قيمة تاريخية وأثرية وسياحية من مواقعنا السورية ولاسيما أفاميا.

---

[33])– مأمون عبد الكريم، الإرث الأثري في سورية خلال الأزمة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، 2011–2013، ص18.

[34])– راما كريالي، أفاميا تاريخ وآثار.

إنّها سوريا الجميلة التي يصفها الدكتور أحمد داوود في عنوان كتابه حول "تاريخ سوريا القديم–1 "المركز"[35]، بـ"المركز ويعني به مركز الإشعاع الحضاري، وهي فعلاً كذلك.

المصادر والمراجع:

1- أحمد داوود، تاريخ سوريا الحضاري القديم –1 "المركز"، طبعة 4، دار نينورتا للنشر والتوزيع، دمشق، 2011

2- أسامة بن منقذ، العصا، تحقيق حسن عباس، الهيئة المصرية للكتاب، 1978.

3- أكرم ساطع–القلاع والحصون في سورية، دار أطلس للنشر والتوزيع، 2004.

4- الخوري عيسى أسعد– تاريخ حمص، إصدار مطرانية حمص الأرثوزكسية، 198.

5- جورج سارتون، تاريخ العلم، ترجمة وتحقيق مجموعة من المترجمين، دار المعارف،، 1992.

6- راما كريالي، أفاميا تاريخ وآثار، طبعة ثانية، مؤسسة الصالحاني، دمشق، 2007.

7- سيرغي ميدفيدكو وديمتري أوسيبوف، سوريا تاريخ كبير لبلد عريق، ترجمة وتحقيق عياد عيد، دار الينابيع، دمشق، 2002.

8- عبد الرزاق زقزوق، حماة سياحة وآثار، المديرية العامة للأثار والمتاحف، دمشق،.

9- ــــــــــــــــ، متحف أفاميا للفسيفساء، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 1984.

10- عفيف بهنسي، تاريخ الفن والعمارة، دار الشرق، دمشق، 2003، الجزء الثاني ص 9.

11- عياد عيد، سوريا تاريخ كبير لبلد عريق، ترجمة عن سيرغي ميدفيكو وديمتري أوسيبوف.

35- أحمد داوود، تاريخ سوريا الحضاري القديم–1 "المركز"، الطبعة الرابعة، دار نينورتا للنشر والتوزيع، دمشق، 2011.

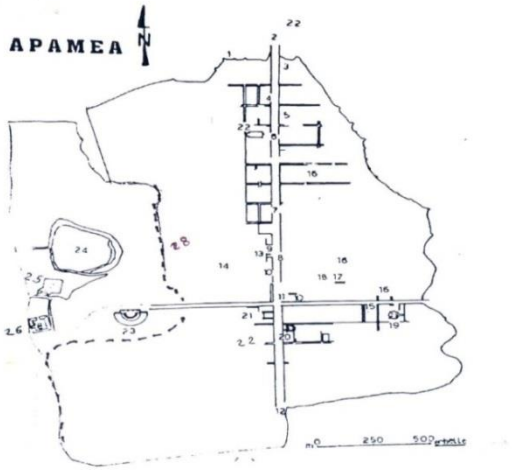
12–قتيبة الشهابي، عباقرة وأباطرة من بلاد الشام في العصور اليونانية والرومانية و البيزنطية، دار المساعدة السورية، دمشق، 2004.

13–مأمون عبد الكريم، الإرث الأثري في سورية خلال الأزمة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، 2011–2013.

14–جريدة الفداء ، العدد 14663، تاريخ 5 تشرين /2013.

- التلفزيون العربي السوري: حديث خاص مع السيد علي الرعدون، مختار قلعة المضيق، صيف عام 1966، ولقاء مع أحد مرافقي الشيخ صالح العلي عام 1976.
- موقع اكتشف سوريا: WWW .discover Syria . com .bonk
- موقع الموسوعة العربية، دمشق: WWW. Arab – incy . com

اللوحة رقم 1 مخطط مدينة أفاميا



دلالات الأرقام:

1- السور
2- الباب الشمالي (بوابة انطاكيا)
3- معبد الحوريات
4- مسجد صغير
5- الحمامات
6- عمود تذكاري
7- دعامة ذات مشاهد باخوسية
8- الأعمدة المقناة المحلزنة
9- هيكل الإله تيفي
10- بيت الخلاء العام
11- هيكل حوريات
12- الباب الجنوبي
13- الأغورا
14- معبد وحي زيوس
15- قصر الحاكم
16- بيوت سكنية
17- بيت التيجان ذو الحوامل
18- بيت الأيل
19- الكادرائية
20- الكنيسة ذات الباحة
21- الكنيسة ذات مخطط مستدير
22- آثار كنائس
23- المسرح
24- قلعة المضيق
25- الجامع العثماني
26- خان أفاميا (المتحف حالياً)

لوحة رقم2 (النصب التذكاري)



لوحة رقم 3 (الشارع الرئيسي)





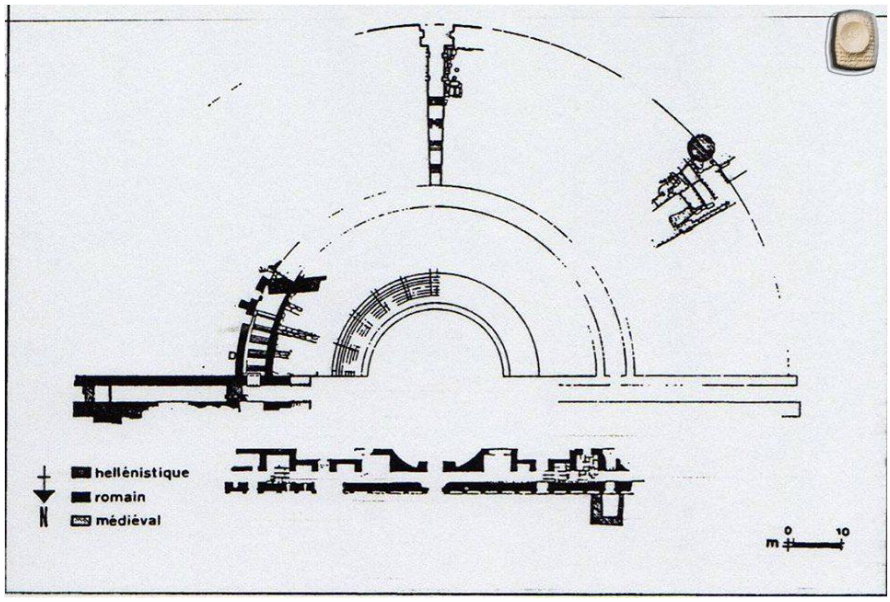
لوحة رقم 4 (المدخل الرئيس لبيت التيجان للحوامل)



لوحة رقم 5 (مدخل قصر الحاكم)



لوحة رقم 6 (مخطط المسرح)



لوحة (ما تبقى من واجهة المسرح)



لوحة رقم 7



Mosaic from the Cathedral فسيفساء من الكاتدرائية

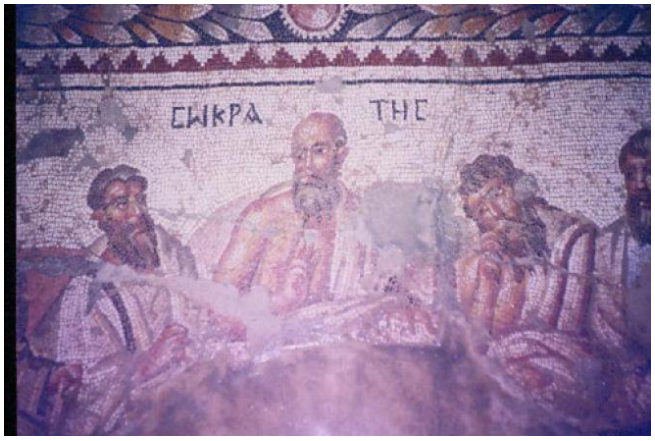


فسيفساء الحوريات

لوحة رقم 8 (فسيفساء الصيد)



لوحة رقم 9 (سقراط والحكماء الستة)





لوحة رقم 10 الوعل (حيوان مجنح)



فسيفساء زخرفة عربية سورية قديمة



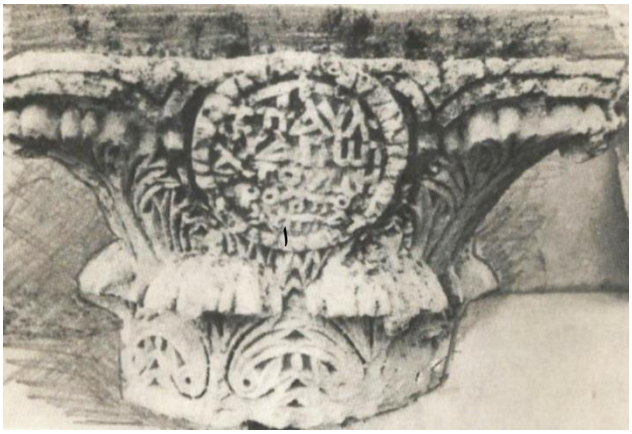
لوحة رقم 11 (تمثال امرأة)



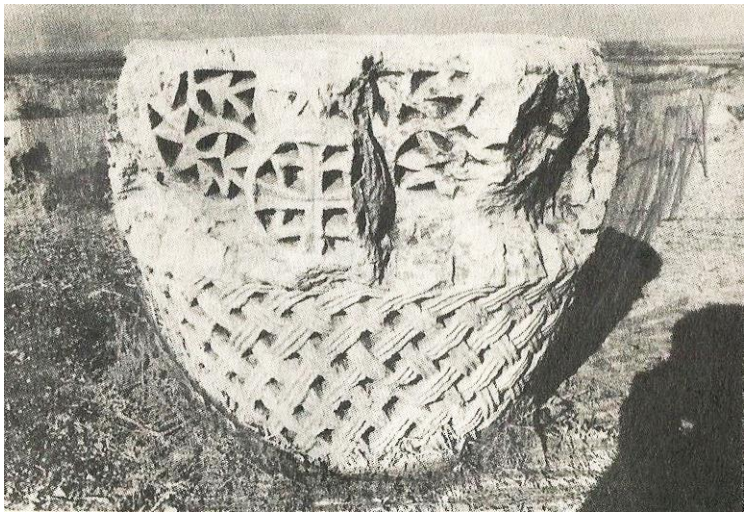
لوحة رقم 12 (تمثال رجل)



لوحة رقم 13 (التاج الكورنثي)



التاج الأيوني

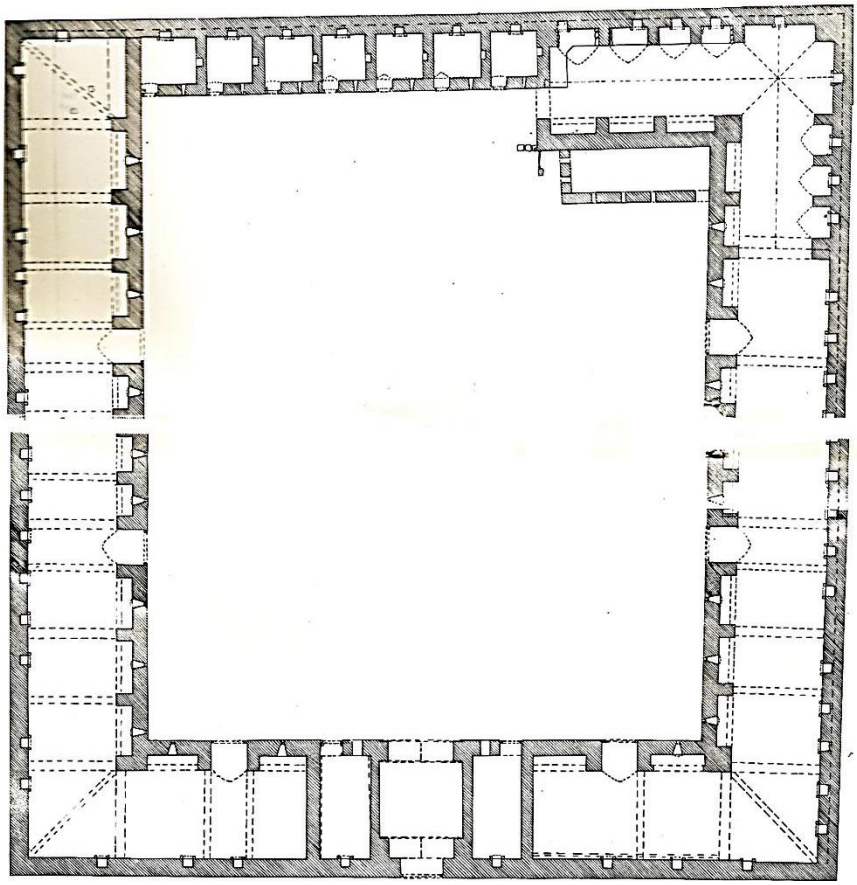


لوحة رقم 14 (التابوت، الناووس)





لوحة رقم 15 (مخطط المتحف حالياً)
(الخان العثماني سابقاً)



لوحة رقم 16 (القلعة من داخل الخام)



(القوس السناني)



اللوحة رقم 17

(الأميرة أفاميا تطلع على مخططات المدينة)

